المحاضرة رقم١٣: قيام الدولة العلوية ١٦٤٠-(١٩١٢)..

دور النشأة والتوسع :

دخلت بلاد المغرب الأقصى في حالة من الضعف بسبب تصارع أبناء المنصور وأحفاده على العرش، فكان لا بد من ظهور قيادة جديدة تتحكم في زمام الأمور وتعيد هيبة الدولة الى أن سطع نجم الأشراف العلويين في الجنوب .

ويرجع العلويين إلى أشراف تافيلالت ، الذي يرتفع نسبهم إلى علي بن أبي طالب وان أول من جاء من هذه الأسرة إلى المغرب هو المولى حسن بن قاسم المعروف بالحسن الداخل وذلك خلال القرن السابع للهجرة ، حيث ان استوطن مدينة سجلماسة (عاصمة اقليم تافلالت) وتوارث أبناؤه البركة والصلاح والنفوذ في المنطقة . وعلى اثر الإساءة التي تعرض لها سكان سجلماسة من أصحاب وأتباع المرابط ابي حسون السملالي (مقره بـ إيليغ).

أجمع أهل سجلماسة على مبايعة المولى محمد بن الشريف بن علي في عام ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م أميرا وقائدا عليهم ليدخل في حرب ضروس مع حسون السملالي وأتباعه و الذي انتصر عليه في أكثر من موقعة كما دخل في صراع مع أتباع الزاوية الدلائية التي يقودها محمد الحاج الدلائلي عام ١٦٤٦ في موقعة القاعة ثم حدث تصالح بينهما.

استغل فترة الصلح للتوسع نحو الشمال الشرقي (وجدة) والتوغل في المغرب الأوسط حتى نواحي" عين ماضي" مركز الطريقة التيجاينة ، وزعزع حكم الأتراك بنواحي تلمسان ومدّ نفوذه كذلك على مناطق " تافيلالت "، ولكنه اصطدم بقوة أخيه مولاي الرشيد الناشئة بناحية تازا (بسبب أموال اليهودي ابن مشعل) فقضى نحبه في موقعة بسهل آنجاد عام ١٦٦٤م .

- **مولاي الرشيد ١٦٦٤_ ١٦٧٢م :**

قبل الثورة على أخيه استقر في بني يزناسن أسس قوة مستقلة بعد ما تمكن من القضاء على اليهودي " ابن مشعل " والاستيلاء على ثروته وبعد أن قضى على أخيه المولى محمد عام١٦٦٤م ، أصبح له الأمر فألف جيشا من قبائل الجهات الشرقية من المغرب التي عرفت " بالشراقة " وبأموال اليهودي ، فجعل "تازة " قاعدة عسكرية، ومنها توجه لفتح "فاس " التي دخلها في عام ١٦٦٥م. بعدها توجه للقضاء على ثورة ضده بسجلماسة ومنها تمكن من القضاء على الدلائيين نهائيا ١٦٦٨م ونفى زعيمها محمد الحاج الى تلمسان وأخضع الثائرين بالريف وجنوب المغرب، ثم استولى على مراكش ١٦٧٠ بعد القضاء على الامير ابي بكر الشباني، ودانت له المغرب وتوافدت عليه القبائل بالمبايعة طوعا وكرها.

وقد تميزت سياسته بكونه أول مؤسس للدولة العلوية وقد ساعدته عوامل عديدة في تحقيق الوحدة الوطنية التي مزقتها صرعات القبائل والطموحات الذاتية لبعض الشخصيات الدينية ، واهمها: شخصيته القوية ومهارته الحربية وحنكته السياسة. توجهه إلى مناطق تخلو من حكم مركزي استطاع أن يكون بها قوته وأن ينطلق منها للاستيلاء على المغرب بكامله. ظروف المغرب المضطربة التي ساعدته إلى حد كبير على مواجهة أعدائه والقضاء على منافسيه. وتوفى المولى الرشيد بمراكش عام ١٦٧٢.

شخصية المولى إسماعيل ١٦٧٢-١٧٢٧م :

عين المولى إسماعيل خلفا لأخيه رشيد، فبايعه جل أهل المغرب وعلمائها ، وفضل البقاء في مدينة مكناسة، وعرف عنه أنه قوي الإرادة لا تهزه الهزيمة يقود بنفسه القوات لقمع الثورات في شتى أنحاء المغرب . وقد عبر عن ذلك أحد الأسرى الفرنسيين الذي أمضى في الأسر أحدى عشرة سنة : "كان المولى إسماعيل دوما في المقدمة يضرب المثل بنفسه للآخرين سواء أكان ذلك في الحرب أم في السلم ، وانه في بناء مكانسه كان يعمل بنفسه كباقي العمال ".

وجاء في الاستقصاء :" أنه من أقوى ملوك الدولة.... وقد أحيا سنة الجهاد ضد الأسبان والبرتغال الذين كانوا يحتلون بعض الثغور واستطاعت كتائب الجهاد التي كان يسيرها إزعاج المحتلين بحركاتهم. وكان محبا للعلم والعلماء سخيا على الأدباء فأزحم بلاطه بهم. وقد حفر كثيرا من الآبار وأنشأ كثيرا من البرك في طريق الحج.

بادر بعد ما تمكن من إخماد ثورات من أبناء أسرته كثورة ابن أخيه احمد بن محرز الذي تحالف مع الحران أخي المولى إسماعيل ، وثورات القبائل يتزعمها شيوخ قبائل أو رجال دين وقضى على قطاع الطرق فساد الأمن والطمأنينة .

وقد شهدت علاقته مع اتراك الجزائر توتر شديد حيث قام بعدة غزوات على منطقة تلمسان كانت بدايتها عام ١٦٧٩ثم عام١٦٩٢وآخرها عام ١٧٠١ لحقت به هزيمة كبيرة وكاد على اثرها ان يقتل او يقع في يد الاتراك ، فاعتمد على تفعيل صلح قديم يقر بواد التافنا كحد بين البلدين . ومنها انشغل بتأديب حركات تمرد البربر وتمكن من كسر شوكتهم بعد عناء .

الاهتمام بالجيش:

أولى المولى إسماعيل اهتماما وعناية كبيرتين بالجيش لفرض الأمن والطمأنينة في البلاد، وقسمه إلى مجموعات وتشكيلات بحسب الأصول والمهام :

١_ جيش الشراقة: " يتكون معظمه من قبائل عرب وبربر بادية تلمسان و من فرسان الجهات الشرقية، وقد ورثه عن أخيه مولاي الرشيد .

٢_ جيش الودايا: يتكون من فرسان قبائل عرب " معقل " نقلوا من الجنوب إلى مكناسة و فاس ، وأخواله من إحدى هذه القبائل ثم دعمهم بعرب السوس و المغافرة أصهاره.

٣_ الأندلسيون و الأعلاج والنصارى المرتزقة: وقد اكتسبوا أهميتهم لمهارتهم في استعمال السلاح الناري واختصاصهم في استعمال المدفعية ولهذا كلفوا بالمهمات الصعبة واستخدموا في الحملات الانتقامية.

٤_ جيش عبيد البخاري: وتأسس عام ١٦٨٨م ، واعتمد في تشكيله على عبيد السنغال الذين كثر عددهم منذ أيام المنصور السعدي ، قد يكونوا وصلوا إلى المغرب عن طريق الشراء أو المهاجرة فتناسلوا وأصبحوا عنصرا قويا في البلاد فأمر أتباعه بشراء كل العبيد وكون منهم جيشا أطلق عليه اسم جيش عبيد البخاري لأن أفراده أقسموا يمين الولاء على صحيح البخاري، وكان يأخذ أبناء العبيد من سن العاشرة لتربيتهم تربية خاصة ويوزعون على معلمي مختلف الحرف وحين يكملوا تدريبهم الحرفي ينقلون إلى مراكز التدريب العسكري. وقد بلغ عدد عسكر البخاري ما يقارب ١٥٠ألف جندي. وعرف عنهم حسن التدريب والتنظيم . وكلف بمهام حراسة القلاع وتأمين الطرقات وجباية الضرائب. وبفضل هذه التشكيلات العسكرية استعادة بعض المدن والموانئ الهامة كالمعمورة (حملت اسم المهدية) عام ١٦٨١م من الإسبان وتخلي لهم الانجليز على طنجة عام ١٦٨٤م والعرائش عام ١٦٨٩م ، و أصيلا عام ١٦٩١. وفشل في استعادة سبتة ومليلية.

سياسة المغرب الأقصى الخارجية في عهد مولاي إسماعيل :

شملت علاقاته الخارجية مع القوى الأوربية خاصة فرنسا وبريطانيا واسبانيا وهولندا قضايا مهمة كان على رأسها الأسرى والشؤون السياسية والتجارية. وقد استغل التوترات القائمة بينهم ، فتقرب من الفرنسيين ليضمن وقوفهم إلى جانبه ضد الاسبان وعزز هذا التقارب بإرسال سفارة رسمية برأسة محمد تميم عامل تطوان إلى ملك فرنسا لويس الرابع عشر نجحت في عقد معاهدة تجارية عام١٦٨٢ تضمنت اتفاقيات سياسية للإحلال السلام بين الدولتين وتبادل المساعدات أثناء غارات القراصنة ، ومنح الهيئة القنصلية الفرنسية حق مقاضاة رعاياها في المغرب الأقصى . أما بريطانيا فقد دفعها العامل التجاري إلى عقد اول معاهدة تجارية مع مولاي إسماعيل في عام ١٧٢١م اي قبل سنوات قليلة من وفاته. بفضلها أصبحت التجارة البحرية مع المغرب حكرا انجليزيا مقابل تقديم الأسلحة والبارود والأقمشة للمغرب.

أوضاع المغرب بعد وفاة المولى إسماعيل:

ما إن توفي المولى إسماعيل في ٢٨ رجب الموافق ل١٧٢٧ م بعد أن حكم خمسا وخمسين سنة ، حتى دخلت المغرب في فوضى عارمة ، تحكم العبيد والودايا في الشؤون السياسية والاقتصادية ، وكان أولاده لعبة في يد الجند العبيد.

لقد تميز الوضع الأمني في المغرب بالاستقرار في عهد المولى إسماعيل ، فكان الجيش في غاية التدريب على القتال والطاعة والانضباط ، وحراسة الطرق وحماية الثغور ، وما إن توفي حتى تبدل أمر الجيش وأصبح يتدخل في شؤون الحكم وبيده الأمر كله ، فانتشرت الفتن والقلاقل وعم الاضطراب والفوضى ، وتعدد تولي الملوك وعزلهم من أبناء المولى إسماعيل فلا يكاد احدهم يستقر له الأمر حتى يثور عليه هؤلاء الجند.

وعانت البلاد خلال هذه الفترة من عمليات النهب والسلب والقتل التي باشرها هؤلاء الجند واستمر الوضع على هذا الحال لمدة ٣٢ سنة الى غاية عام ١٧٥٧م .

انتقال السلطة الى المولى محمد بن عبد الله: ١٧٥٧-١٧٩٠:

بادر السلطان محمد بن عبد الله في تعمير البلاد فبدأ من مدينة مراكش ، أسس بها دارين "قصرين" الدار الكبرى ، والقصر الأخضر واهتم ببناء المساجد ودور العلم "مدرستين".

وقد عرف عنه حسن التسيير ورجاحة الرأي ، فكانت مبايعته من مراكش وفاس وسائر أهل المغرب . وقد عمل على التخلص من الطغاة والمفسدين وفرض الضرائب لإعادة بناء القلاع الدفاعية المهدمة ، كما حاول إصلاح الجيش واستعمل أسلوب اللين مع أفراد جيش الودايا والعبيد ولما فشلت معهم سياسة الملاينة لجأ الى القوة والبطش ففتك بالودايا وشردهم وحاول إصلاح أحوال العبيد ولكنهم ثاروا ضده في مكناس وبايعوا ابنه المولى يزيد عام ١٧٧٥م ، ولكنه تمكن منهم إذلالا ، حتى تأدبوا وصلح حالهم . اهتم بعد ذلك بإنشاء أسطول بحري قوي اعتمادا على الانجليز ثم العثمانيين وازدهرت في عهده التجارة وحرر مدينة مازغان من الاحتلال البرتغالي وسماها "الجديدة".

وفيما يخص علاقاته الخارجية فكانت حسنة ، حيث تمكن من تبادل الأسرى مع الاسبان وتوسط بينهم وبين داي الجزائر حول أسرى الطرفين ، هذا ما شجع في إقامة علاقات تجارية قوية خاصة مع الاسبان .

ولاية المولى سليمان ١٧٩٢-١٨٢٢ :

انقسمت بلاد المغرب بعد مقتل يزيد بن محمد على يد أخيه هشام عام ١٧٩٢ ، فبايعت شمال المغرب مولاي مسلمة ، بينما بايعت مدينة فاس ومكناسة والرباط مولاي سليمان ، في حين بايعت مدينة مراكش مولاي هشام واستمر الصراع بين الإخوة أربع سنوات إلى أن استتب أمر الحكم نهائيا للمولى سليمان عام ١٧٩٦.

وقد عرف عن المولى سليمان التقوى والورع واشتغاله بالعلم ، فكان الأقرب إلى قلب أبيه مولاي محمد بن عبد الله ، لذا بويع كما يقول صاحب الاستقصاء مطلوبا لا طالبا ومرغويا لا راغبا .

وقد شهدت بلاد المغرب الأقصى في أيام حكمه الأمن والسعادة والرخاء في الأسعار ، فأسقط المكوس التي كانت مفروة على أبواب الأسواق ومختلف السلع والمنتجات .

كما لم يهمل الجانب العمراني فبنى في مدينة فاس المسجد الأعظم ، ووسع مسجد الديوان وبنى العديد من القناطر في مختلف مدن المغرب . وقد شهد المغرب في أواخر حكمه فتنة عظيمة إثارتها قبائل البربر بقيادة الدجال الصوفي "أبو بكر مهاوش" : فسارت هذه القبائل تنهب أموال الناس ومتاعهم ، وانتشرت روح العصيان والفوضى بين القبائل وضايق أهل الوادي سكان المدن ولم يتمكن السلطان سليمان من إخماد هذه الفتن ، ثم لاحت مشكلة اخرى تمثلت في ثورة الشراردة وهم من عرب زرارة الشباتات استوطنوا غرب مدينة مراكش والتفوا حول زاوية أبو القاسم الشراردي وكان من أهل الصلاح ، ولكن امر الزاوية بعد وفاته تحول الى يد حفيده المهدي الشراردي المشعوذ ، الذي هزم السطان وألحق به الاذلال الكبير ، كانت سببا في اشتداد مرض السلطان فمد الخلافة لابن أخيه المولى عبد الرحمان بن هاشم.

ولاية المولى عبد الرحمان بن هشام ١٨٢٢-١٨٥٩ :

كان شبيها في ورعه وتقواه وعزمه لعمه سليمان ، فبعد وفاة هذا الاخير بايعه أهل فاس ثم وفدت عليه بيعات الامصار من مختلف بلاد المغرب وحتى البربر.

اهتم المولى عبد الرحمان بالعمران ، فأعاد بناء مرسى مدينة اضبحة المهدم وتجديد الحرم الادريسي بفاس وتوسيع مسجده ، وبناء برجين بمدينة سلار وتجديد أبراج مدينة الصويرة.

أما علاقاته الخارجية فقد عاصرت فترة حكمه أحداث كان لها أثر خطير على تاريخ المغرب العربي كله فقد استولت فرنسا على الجزائر عام ١٨٣٠ ، مما ترتب عنه قيام مقاومة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري وخلال فترات المقاومة أرسل الجنرال بيجو قواته واحتل مدينة وجدة المغربية ثم مدينة طنجة فوقعت معركة كبيرة بين القوات الفرنسية وقوات المولى عبد الرحمان بوادي اسلي ، هزم فيها لجيش المغربي ١٨٤٤ م ، مما أجبر السلطان عبد الرحمان على التوقيع على معاهدة طنجة ١٨٤٤ ، والتي من بين ما نصت عليه منع المغرب من دخول الأمير عبد القادر الى أراضيها وعدم تزويده بالذخيرة والسلاح.

المولى محمد بن عبدالرحمن ١٨٥٩-١٨٧٣:

عرف عنه الورع والتقوى ومراعاة الشرع في تصرفاته ، وحسن التدبير والقدرة والكفاءة العسكرية والإدارية ،وقد استتب الامن في زمانه . ا هتم كثيرا بالزراعة فاجرى السواقي وفجر العيون وغرس الحدائق واصلح الموانئ وانشأ معملا للسكر . ومنح الامتيازات الاقتصادية للدول الاوربية التي كانت وسيلة للتدخل في شؤونه الداخلية وبداية للاطماع الاستعمارية الاوربية التي اتضحت بشكل مباشر في مؤتمراتهم وذلك في عهد ابنه المولى حسن ١٨٧٣-١٨٩٤م . ليليها عقد العديد من الاتفاقيات بين الدول الأوربية المتنافسة وتحديد مجالات النفوذ لكل منها والتي انتهت بالفصل في أمر المغرب الأقصى واقتسامه بين اسبانيا وفرنسا عام١٩١٢ في إطار ما سمي بالحماية المزدوجة .

البحر الأبيض المتوسط
الإمارات العربية المتحدة
البرتغال
إسبانيا
(شبه الجزيرة الإيبيرية)
طنجة
تيطوان
سبتة
مليلية
وجدة
وهران
مستغانم
الجزائر
جيجل
بجاية
عنابة
تونس
حلق الوادي
مالطا
الجزائر
تونس
جربة
طرابلس
تاجوراء
سرت
غدامس
طرابلس الغرب
(ليبيا)
أصيلا
العرائش
المهدية
القصر الكبير
الدار البيضاء
الجديدة
آزمور
آسفي
الصويرة
أغادير
فاس
مكناس
مراكش
تافلالت
سوس